فما همّني كيف يعيش الأموات ولا أين يعيشون. وجلّ ما أريد أن ألقيه في خلدكم هو أن الموت ليس بالعقبة الكأداء التي نتوهّم. وأنه لا يقف في سبيل الإنسان إلى أهدافه السامية. بل قد يكون من خير المساعدين على الوصول إليها. فنحن ما انبثقنا من الله لنتلاشى في الموت. ولا نحن نموت ما دمنا من الله وفيه. ولكننا نحيا لنعرف أنفسنا ونعرف الله. وإذا كانت المعرفة الكاملة لعلمٍ من علوم الناس لا تتمّ لنا في عمرٍ واحد فكيف بمعرفة الله تتمّ لكائن كالإنسان في خلال عمر أو أعمار وهو ما برح في أوّل الطريق تحثّه على السير أشواقه إلى الحقّ والحريّة والكمال، ولكن غرائز البهيمة فيه تثقل خطاه بما تنشره في وجدانه من شهوات سود وتزيّنه لفكره من قِيَمٍ زائفة. وهذه كلّها دياجير في دياجير. وعلى الإنسان أن يمزّقها بالنور الذي فيه حتى وإن هو اضطّر في تمزيقها إلى تمزيق جلده ولحمه. وذلك يعني أنّه على الإنسان أن يشنّ حرباً على نفسه لا على أخيه الإنسان ولا على الأكوان من حوله. فهو إن صفت عينه صفت حياته. وإن صفت حياته كان كلّ الكون في عينيه نوراً صافياً.

إنّها لحرب ضروس شعواء تلك التي يترتّب على الإنسان أن يشنّها على نفسه. وإنّها لحرب مقدّسة. وهي من بين كلّ